المحاضرة الثالثة: التربية في المجتمعات البدائية

1- التربية في المجتمعات البدائية:

المجتمعات البدائية هي المجتمعات التي كانت متواجدة قبل اختراع الكتابة، أي منذ 4000 أو 5000 سنة قبل الميلاد. "وإن المجتمعات البدائية وان تباينت في كثير من الأمور فإنها تتشابه في كثير من المميزات العامة، ومن تلك المميزات نسبة الحياة للجماد أثناء تفسيرهم للبيئة المحيطة بهم، حيث كان الإنسان البدائي يرى أن العالم من حوله خاضع لقوى غير مرئية يظهر نشاطها في الظواهر الطبيعية كالليل والنهار والمواسم والرياح والنبات والحيوان، وكان الإنسان البدائي يعتقد أن وراء كل قوة مادية أو حقيقة ظاهرية، قوة أخرى غير مادية هي القوة الروحية (القرينة)، واعتقد الإنسان البدائي أن لجسمه المادي روحا غير مادية تنتقل من جسمه أثناء النوم فتقوم بالأعمال التي يراها في الأحلام وبعد انتهاء تلك الأعمال ترجع لجسمه، إن ظله أو خياله الذي كان يراه في الأيام المقمرة والمشمسة وصورته التي كانت تنعكس على صفحة الماء والحلم الذي كان يراه في المنام كل ذلك جعله يعتقد بوجود تلك القرينة، واعتقد بوجود ثالثة أنواع من القرائن أو الأرواح: نوع حيادي، ونوع ضار، ونوع صديق، وقد حاول إرضاء هذه الأرواح بالطقوس وتقديم الهدايا.[1]

لذا كان يؤمن الإنسان البدائي بهذه الأرواح وجعلها المسؤولة عن كل ما يحدث في حياته من خير وشر، وكانت الحياة حينها بدائية وبسيطة لا تخرج عن تحقيق الحاجات الأولى من المأكل والملبس والحماية من تلك الأرواح خاصة الشريرة منها .

وبطبيعة الحال كانت التربية بدورها بسيطة عشوائية تخضع لطبيعة تلك المجتمعات، وتعبر عن غاياتها، وامتازت بخصائص منها :

- تربية بسيطة تعمل على المحافظة على العادات والتقاليد وطرق المعيشة السائدة في المجتمع آنذاك .

[1] فخري رشيد خضر، تطور الفكر التربوي، دار الرشيد للنشر والتوزيع، 1982، الإحياء، السعودية، ص13-14.

- تلبية متطلبات الإنسان البدائي وحاجاته الأولية من أكل وملبس ومأوى وحماية من الأرواح الشريرة .
- تدريب الناشئة على طريقة الاحتفالات والطقوس الدينية، المقامة لإرضاء الأرواح.
- تربية تعتمد على التقليد والمحاكاة وتستعمل طرق ووسائل بسيطة في التعلم.
- تربية جامدة ال تدعوا للتغيير.
- تربية عملية أكثر منها نظرية.
- تنتقل عن طريق الكلام .
- تعتمد على الخبرة المباشرة، حيث يحاول الكبار اصطحاب الصغار إلى مكان العمل (نظام الصبية).
- تربية مستمرة باستمرار حياة الفرد غير مقصودة وغير نظامية تتم بطريقة عشوائية وبوسائل بسيطة.

2-التربية الهندية:

تميزت التربية الهندية القديمة بميزتين أساسيتين هما (الجانب الاجتماعي والجانب الديني)، حيث كان المجتمع الهندي مجتمع طبقي يتسم بطبقية مغلقة، وراثية لا يسمح بالارتقاء من إحداها إلى أخرى أو التزاوج بينها وتتمثل هذه الطبقات في:

- **طبقة البراهمة أو الكهان:** وهي أعلى طبقة في المجتمع، وتشمل المعلمون والمشرعون.
- **طبقة الكشاتريا (المحاربين):** وهم كبار العسكريين يهتمون بأمور الحكم والجيش والحرب.
- **طبقة الفايزا أو الصناع:** وهم التجار وأصحاب المال .
- **طبقة الشودرا (العبيد):** ويقومون بخدمة الطبقات الثالثة السابقة.
- **طبقة الباريا (المنبوذين):** وهم من أسرى الحرب من السكان الأصليين الذين تحولوا إلى عبيد وخدم عقابا لهم .

- كما كان للدين تأثير كبير على المجتمع الهندي وعلى النظام التربوي.

ومن هنا فإن للتربية هدفان هما:

- إعداد الفرد للحياة المستقبلية أكثر من إعداده للحياة الحاضرة .
- المحافظة على النظام الطبقي السائد في المجتمع الهندي .

وقد ساد المجتمع الهندي نمطين من التربية وهما:

أ- **التربية البراهمانية** :لم يخضع تسيير شؤون التربية والتعليم للدولة، وإنما كان خاضع للنظام الطبقي والدين هذا الأخير الذي كان له دور كبير فيه، حيث أن رجال الدين من البرهمان وغيرهم كانت لهم سلطتهم الكبرى عليهما، كما كانت لهم السلطة في احتكار الكتابة وتعليمها، وحصرها لدى فئة قليلة منهم، حتى يضمنوا حفظ أسرار النصوص المقدسة، وعدم تعميمها لدى عامة الناس. لكن فيما بعد تنازل البراهمة عن ذلك وسمحوا لبعض الطبقات تعليمها عدا طبقة المنبوذين.

وكان التعليم مجانيا، بالرغم من أن اغلب المدارس كانت غير حكومية، فقد حرمت كتبهم المقدسة فرض أي نفقات أو رسوم، حيث كانوا يعتبرون ذلك ضد تعاليم السماء، وكان التعليم يمول من طرف هدايا التلاميذ، أو من الأموال التي يجمعونها من التسول.

ب- **التربية البوذية:** لا تختلف التربية البوذية في خطتها العامة وروحها عن البراهمانية إلا في الاختلاف حول الدين والإيديولوجية الاجتماعية، ونوع المدارس، وتعليم البنات، وتتفق البوذية والبراهمانية في الاهتمام بالمثل العليا الدينية والخلقية، كما رفض بوذا الفيدا وتعاليمها واعتبارها السلطة العليا على السلوك الاجتماعي، كما رفض نظام الطبقات لاعتباره نظاما اجتماعيا غير عادل، وهكذا حلت الآداب البوذية محل الفيدا كمصدر للحكمة والأخلاق.[1]

[1] عبد هللا زاهي رشدان، تاريخ التربية، دار وائل للنشر والتوزيع، 2002، عمان، ص62.

3-التربية الصينية:

ارتبطت عملية التربية والتعليم في الإمبراطورية القديمة بمجموعة من العوامل والظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية التي كانت سائدة في تلك البلدان، وأسهمت في تكوين حضارة عريقة لاتزال تؤثر في الحضارات البشرية الحديثة. وقد أشار ماكس فيبر إلى العالقة المتبادلة بين النظام السياسي والإداري والتنظيمي، وأيضا طبيعة الطبقات الاجتماعية التي وجدت في المجتمع الصيني القديم، وبين أنماط الفكر التربوي والتعليمي الذي كرس أساسا من أجل المحافظة على النظام الطبقي والاقتصادي والاجتماعي في هذه الإمبراطورية القديمة. وسعى فيبر أيضا لتوضيح طبيعة التعاليم الكنفوشسية القديمة، وخاصة تلك التعاليم الأخلاقية والروحانية، التي تؤكد مجموعة من العادات والتقاليد والأحداث التي تعكس مدى حرص الشعب الصيني القديم على حب التعلم والتعليم، وإنشاء المدارس المتخصصة المختلفة لتعليم النشء سواء من أبناء الطبقات الحاكمة أو الحاشية أو رجال الدين. علاوة على وجود نظام تعليمي وتربوي يكرس أساسا للتعليم العسكري ولتنظيم الجيوش وإدارتها.[1]

4-التربية المصرية (3500 ق.م – 1100 ق.م):

كان المجتمع المصري قديما مجتمعا تسوده الطبقية المفتوحة، أي بإمكان الفرد أن ينتقل من طبقة لأخرى بعد تحسين وضعه الاجتماعي، عن طريق التعليم، باستثناء الوصول إلى طبقة الفرعون، وكان المجتمع المصري يتكون من أربع طبقات، الطبقة الأولى وتضم الفرعون وعائلته وكبار رجال البلاط، بينما تشمل الطبقة الثانية الكهنة وبعض النبلاء والقادة العسكريين، أما الطبقة الثالثة وتشمل كبار التجار، وأصحاب المهن والأغنياء. وتأتي في الأخير الطبقة التي تضم أكبر سكان مصر القديمة، والذين يمثلون الحرفيون والفالحون والرعاة.

وفيما يخص الدين فقد كان المصريون يعبدون الكثير من الآلهة، من الكواكب والحيوانات والأنسان.

أما عن التربية فقد "كانت التربية المصرية في نظامها وأهدافها استجابة للأوضاع الاجتماعية والدينية، حيث كانت التربية تهدف إلى تأكيد سيطرة الحاكم ورجال الدين وإعداد الفرد ليوم الحساب،

[1] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، التربية والمجتمع – دراسة في علم اجتماع التربية-مؤسسة شباب الجامعة، 2010، الإسكندرية، ص23.

وتعليم الأفراد الذين يستطيعون القيام بالأنشطة المختلفة لخدمة الحكومة أو المعابد، أو القيام بالأنشطة المهنية والفنية المختلفة، بمعنى أن هدف التربية كان ثقافيا ودينيا ومهنيا، وكان هدف التربية من وجهة نظر الشعب هو الطمع في الحصول على المزايا المختلفة المادية الكبيرة التي تتأتى عن طريق التعليم، أو بعبارة أخرى الرغبة الشديدة في رفع المستوى المادي للفرد وتحسين حالته الاجتماعية.[1]

وعليه فقد أولى المصريين أهمية كبيرة لتعليم أبنائهم "فالآباء بمصر القديمة غرسوا في أبنائهم مختلف المبادئ التربوية، وكان أبناء الفالحين يتلقون تعليما رسميا يقتصر على كيفية زرع البذور وجني الثمار وجمع المحصول، فيما كان الحرفيون يعلمون أطفالهم مبادئ حرفهم وصناعتهم، أما الطبقة العليا، فقد اعتمدت على مدرسين متخصصين في تعليم أبنائها.

5-التربية القديمة في بلاد الرافدين القديمة:

وتشمل التربية كلا من :

5-1-التربية عند الكلدانيين: الكلدانيون شعب من أصل آسيوي كانوا يسكنون بين نهري دجلة والفرات وقد عرفوا المدراس، وكان السحرة معلميها، وكانت المعابد المراكز الرئيسية للنشاط الفكري كانت لغتهم لغة ميتة، اهتموا أكثر بالتربية الفنية والعملية، وكانوا يهدفون من وراء التعليم إلى إعداد تجار وكتاب، والى جانب ذلك اهتموا بتعليم الدين والفلك والتنجيم والتاريخ وعلوم التجارة والمحاسبة، بينما دراسة الطب اقل اهتماما منهم، بسبب تفسيرهم للأمراض بالأرواح الشريرة. وتشتمل شرائح الكلدانيين على قوانين حكيمة قائمة على العدل والاستقامة .

5-2-**التربية البابلية والآشورية:** البابليين هم الذين كانوا يسكنون في أسفل حوض نهري دجلة والفرات، في حين سكنا الأشوريين الجزء العلوي من النهرين، "ولا نملك معلومات دقيقة عن تنظيم المدارس لدى الآشوريين والبابليين، غير أن ما بلغته حضارتهم من شأن، يتيح لنا أن نفترض انهم عرفوا العديد من المدارس. فلقد كانت المعرفة ضرورية لهم يوفرون بفضلها الهناء والرفاهية لشعبهم، ويحتفظون بواسطتها بسمعة وطنهم أمام سواهم. وكانت التربية العالية مقصورة على الطبقات العليا، غير أن الطفل الذكي يستطيع أن يبلغ شأنا عاليا من الثقافة يتيح له أن يصل إلى

[1] محمد حسن العمايرة، أصول التربية (التاريخية والاجتماعية والنفسية والفلسفية)، ط2، دار الميسر ة للنشر والتوزيع والطباعة، 2000، عمان، ص52.

وظائف الدولة، وكان التعليم فنيا وعمليا بالدرجة الأولى هدفه تكوين تجار وكتاب، ومع ذلك سادت فترة من الفترات الدراسات التي تدعى بالحرة، فوجد اختصاصيون في الأدب الديني وفي الفلك والتنجيم والتاريخ، وتم التعمق خاصة في علوم التجارة وعرف القوم نظاما بارعا في المحاسبة، والمدن الكبرى ضمت مكتبات كتبها رقاع أو أسطوانات حفرت عليها الحروف المسمارية، وقد سمح اكتشاف بعض هذه الكتب المدرسية المكتوبة للطالب بالتعرف الدقيق على حضارة تلك الشعوب، وكان منهج الدراسة يشمل الدين والنحو والحساب والتاريخ والجغرافيا.[1]

6-التربية اليونانية :

تباين التربية اليونانية والتربية الشرقية مباينة تامة، فعلى حين نرى أن روح المحافظة والجمود والحد من حرية الفرد هي التي تميز التربية الشرقية، نرى أن روح التجديد والابتكار وروح الحرية الفردية، هي التي تميز التربية اليونانية. فاليونان قد فسحوا المجال لنمو الشخصية الفردية في جميع مظاهرها السياسية منها والخلقية والعلمية والفنية، وجعلوا غاية التربية لديهم أن يصل إلى الحياة السعيدة الجميلة. فكان التكوين الروحي للفرد موضع عيناتهم وتكامله النفسي أو تحقيق الانسجام بين كماله الروحي وكماله الجسدي المثل الأعلى لهم. [2]

وكانت بلاد الإغريق على اتصال بحضارات قوية مثل الحضارة البابلية، وبلاد الفرس، والحضارات الهندية والصينية، وكذلك حضارة مصر الفرعونية. وعمل ذلك على ازدهار حضارة الإغريق، فتناول فكرهم القضايا والمشكلات المادية أو العقلية البشرية، مثل قضايا الحرية، والديمقراطية اللتان ارتبطتا بالأنساق التربوية والثقافية القديمة، ولاسيما أن كل من التعليم والسياسة ارتبطا لحد كبير بطبيعة أهداف الدولة ومصالحها بالرغم من التناقض الإيديولوجي لطبيعة الدولة اليونانية القديمة، وخاصة أن استخدام التربية وطبيعتها في تكوين المدينة سواء عن طريق الأسس الديمقراطية. كما حدث في مدينة أو دولة أثينا. أو قيام اسبرطة على أسس تسلطية وعسكرية بفضل نوعية ونمط التربية الفعلية. [3]

7-التربية الرومانية:

[1] عبد الله عبد الدائم، التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، ط5، دار العلم للماليين، 1984، بيروت، ص53.

[2] عبد الله عبد الدائم، المرجع نفسه، ص53.

[3] حسين عبد الحميد أحمد رشوان، التربية والمجتمع – دراسة في علم اجتماع التربية-مؤسسة شباب الجامعة، 2010، الإسكندرية، ص27-28.

تنقسم التربية الرومانية إلى عصرين كبيرين :

7-1-**التربية الرومانية القديمة (50–753ق م):** ويعني بها الأساليب والطرق التهذيبية في الأجيال التي سبقت دخول المدينة اليونانية وانتشارها بصورة عامة في الإمبراطورية الرومانية التي تكونت بعد انتشار الإغريق في روما وهي بدورها تنقسم إلى مرحلتين هما :

- **العصر القديم الأول (753–250ق م):** عصر المواطنين أو عصر التربية الرومانية الأولى، وقد كانت الأسرة عماد التربية، وكانت التربية حينها متأثر بشكل كبير بنمط الحياة اليومية والواقع الاجتماعي المعاش، حيث كانت الأم في السنوات السبع من عمر الفتى تقوم بالسهر على تربيته وتعليمه إذ كانت تلقنه الخصال والعادات الحسنة كما كانت تعلمه اللغة والقراءة والكتابة والحساب أم الفتاة فكانت تعلمها شؤون إدارة البيت .

كما كان للأب دور كبير في الأسر ويرجع له الأمر في تقرير مصير الأبناء، وهذه السلطة خولتها له القوانين الاثني عشر، وتبدأ مهمته في التربية بعد سن السابعة، والتي تتم عن طريق المحاكاة والتقليد عن طريق اصطحابه إلى مكان العمل أو في الحياة العامة، وفي منصة الخطابة أو في المعسكر، ويحدث هذا بسبب عدم وجود مدارس نظامية تقوم بالتربية. وكانت التربية في هذه الفترة قاسية وجامدة وتهتم بالجانب الخلقي فقط .

وفي أواخر العصر ظهرت المدارس الأولية والتي انحصرت مهمتها في تعليم القراءة بهدف حفظ الألواح الاثني عشر، وكذا تعليم الكتابة والحساب وحفظ الألواح الاثني العشر.

- **العصر القديم الثاني (عصر الانتقال) 250ق م– 50ق م:** شهدت هذه الفترة تغلغل للثقافة اليونانية، التي أدخلت معها المبادئ والأفكار والعادات اليونانية إلى روما تدريجيا، حيث تميزت هذا العصر بانتشار المدارس الأولية، كما حلت الأوديسا لهوميروس والتي ترجمت للاتينية محل الألواح الاثني عشر، وكانت المادة التي يتعلم الناس بها القراءة والكتابة، ثم دخلت مدارس النحو ومدارس الخطابة اليونانية إلى روما، ولكنها لم تنتشر الانتشار الكافي، وأخيرا تحولت هذه المدارس إلى مدارس لاتينية، إلا أن مجالس الشيوخ اصدر قرار بتوقيفها.

7-2-**التربية الرومانية الجديدة:** تنقسم بدورها إلى عصرين هما :

أ- **العصر الإمبراطوري (50 قم-200م):** انتشرت الثقافة اليونانية بهذا العصر بشكل كبير، وسادت مبادئها روما والعالم القديم، وأصبح نظام المعاهد ذا قيمة، كما بقيت المدارس الأولية على حالها ولم تتطور، أما مدارس النحو التي أوقفها مجلس الشيوخ في العصر الماضي فقد أصب حت رسمية وكانت على نوعين أحدهما النحو اليوناني، والثاني لتعلم النحو اللاتيني.

أما مدارس الخطابة عند الرومان، فكانت بمثابة مدارس السفسطائيين لليونان، وحظيت بدعم من الحكومة، ما شجعها على الانتشار بشكل كبير، كما اعتنت الحكومة بالمعلمين وأعطتهم امتيازات خاصة، وأعفتهم من دفع الضرائب والرسوم، بالإضافة إلى التدريب على الخطابة.

وقد اهتم القياصرة بإنشاء المدارس في العصور القديمة، وأنشأوا نظام تربوي يضاهي أرقى الأمم وكانت مراحل التعليم ومناهجه كالتالي :

- **التعليم الأولي:** يتم في المدارس الأولية وتبدأ من سن 7 سنوات إلى غاية الاثني عشر سنة يدرس فيها القراءة والكتابة والحساب .
- **التعليم الثانوي:** يبدأ من سن الثانية عشر إلى غاية السادسة عشر، ويضم مدارس النحو يتعلم فيها المتعلم الصرف والنحو والأدبيات.
- **التعليم العلمي:** ويبدأ من سن السادسة عشر إلى غاية الثامنة عشر، يضم مدارس الخطابة أو البالغة، يدرس بها النحو والخطابة والجدل والحقوق.
- **التعليم العالي:** ويتمثل في الجامعات ويبدأ من سن العشرين إلى غاية سن الخامسة والعشرون، ويدرس فيها الحقوق والطب بالإضافة إلى فن البناء والرياضيات وكذا الخطابة والنحو .

وبعد انتشار المسيحية، ظهر نوع جديد من المدارس المسيحية، يلتحق بها الطالب ما بين 18 و20 سنة، ويتعلمون فيها تعليما عاليا في المعتقدات واللاهوت المسيحي.

ب- **عصر التدهور والانحطاط (200-529):** ساد هذا العصر الفساد والانحلال نتيجة للعوامل التالية:

- استبداد الحكومة الملكية واستنزافها لثروات الشعب .

- فساد طبقة الموظفين إلى ابعد مدى، وتحديهم لسلطة الإمبراطورية بشكل علني .
- فساد طبقة القضاة وانتشار الرشوة.
- ازدياد أعداد أفراد الطبقة الأرستقراطية الفاسدة، وتقلص أعداد الطبقة الوسطى، وقل عدد المزارعين.
- الاضمحلال السياسي الذي نتج من إدخال الجنود المأسورين .

وبطبيعة الحال تأثرت التربية تأثرا كبيرا بهذا الوضع، وأصبحت مقصورة على الطبقة الأرستقراطية وحدها، وصارت تقوم على أساس أنها تدليل لمجتمع سطحي فاسد، وأصبحت شكلية ليس لها أدني تأثير على المجتمع .

ومن أشهر مربي الرومان: شيشرون–سنيكا –بلورتاك–فلوطارخس–مارك أوريل–كونتليان.